الطَبِيْبُ الطَيَّار

المسرحية ذات فصل واحد

أشخاص المسرحية

فالير : عاشق لوسيل.
سابين : إبنة عمّ لوسيل.
اسْكاناريل : خادم فالير.
كورجيبوس : والد لوسيل.
رينيه الضخم : خادم كورجيبوس.
لوسيل : ابنة كورجيبوس.
محامٍ :

الأحداث تجري في الريف الفرنسي

فصل واحد

المشهد الأول

فالير وسابين

فالير : ما قولك، يا سابين ؟ أوما لديك من نصيحة تسدينها اليّ ؟

سابين : حقيقةً، هناك أخبار كثيرة. فعمّي يصرّ على تزويج ابنته من الشاب فيلْبروكان وقد تقدمت بينهما المباحثات في هذا الشأن الى حدّ يجعلني أعتقد أنهما كانا تزوّجا اليوم، لو لم تكن هي تحبّك. ولكن، بما أنها قد أودعتني سرّها واطلعتني بصراحة على ما تكنّه لك من الهيام، وكلاكما تجدان نفسيكما ضحيّة بخل عمي البغيض، تذرّعنا بابتكارٍ رائع لتتميم زواجكما. فإن ابنة عمي منذ اللحظة التي كلمتك فيها، ارسلت تبحث عن طبيب ماهر لمعالجتها. فاذا أمكنك أن توفد اليّ أحد أصدقائك للتفاهم معه على الادّعاء بأنه طبيب، نوصيه بأن ينصح المريضة ويصرّ على وجوب ذهابها الى الريف لكي تتنشق الهواء الطلق النقي. ونلتمس من هذا الرجل ان يلحّ على إيواء ابنة عمي تحت سقف بيت قائم في آخر الحديقة. وهكذا يتسنى لك أن تحادثها بدون أن يدري عجوزنا العنيد بذلك، وتتزوّجا في خاتمة المطاف.

فالير : ولكن كيف الاهتداء بسرعة الى طبيب مناسب يقبل بأن يتورط ويخدمني في هذه القضية الشائكة ؟ بصراحة أقول لك أني لا أعرف أحداً يوصلنا كما نأمل، الى الغاية المنشودة.

سابين : أنا أفكّر بأمر. ما قولك بأن تُلبس خادمك جبّة طبيب ؟ اذ لا أسهل من خداع صاحبنا ابيها الساذج.
فالير : خادمي ثقيل الظل يشوّه كل العملية. ولكن علينا أن نلجأ إليه اذا لم نتوفّق الى ايجاد شخص افضل منه. الوداع. انا ذاهب لآتي به، ولكن، اين يمكنني أن أجد الآن هذا الغبي ؟ ... ها هوذا مقبل.

المشهد الثاني

فالير واسكاناريل.

فالير : يا صديقي الوفي اسكاناريل، كم أنا مسرور بلقائك. أراني بحاجة إليك في مسألة هامة. لكن بما أني أجهل ماذا يمكنك أن تصنع...
إسْكاناريل : ماذا يمكنني أن أصنع، يا سيدي ؟ تستطيع أن تستخدمني في كل أشغالك الهامّة مهما كانت دقيقة. مثلاً، ان أذهب وأرى الوقت الذي تشير اليه الساعة الكبيرة، وما هو سعر السمن في السوق، وأن أقدّم ماءً للحصان كي يشرب. حينئذٍ يسعك أن تعرف ماذا أتقن من أعمال.
فالير : لا، ليس الأمر سهلاً، كما تقول. المشكلة هي أن تستطيع تقليد الطبيب.
إسْكاناريل : أنا طبيب، يا سيدي ؟ مع ذلك إني على أتمّ الاستعداد لعمل كل ما يرضيك. لكن أن أكون طبيباً ... على كل حال، أنا مستعدّ أن أخدمك في جميع ما يلزمك. يا إلهي كيف العمل لأخدمك في هذا المجال ؟ بذمّتي، يا سيدي، اراك تريد أن تسخر مني.
فالير : اذا رضيت ان تقوم بهذا العمل، سأدفع لك عشرة فرنكات.
إسْكاناريل : من أجل عشرة فرنكات لن أرفض أن أكون طبيباً. اذ في الواقع، يا سيدي، أنا اصارحك بأني لست ماهراً ولا بارعاً. فإلى اين تريد أن أذهب ؟
فالير : الى الرجل الطيّب القلب كورجيبوس لزيارة ابنته المريضة. غير أنك ثقيل الظلّ واخشى أن تتصرف بشكل يضرّ بدل أن ...

إسْكاناريل : يا الهي. أرجوك، يا سيدي، أن لا تهتم كثيراً. أؤكد لك أني استطيع ان ازهق روح انسان بصورة أفضل مما يقوم بذلك أي طبيب في المدينة. هناك مثل سائر يقول : « الموت يتغلّب أحياناً على الطبيب ». ولكنك ستسمع، اذا أنا قمت بهذا العمل : « ان الطبيب يتغلّب دائماً على الموت ». على كل حال، عندما افكّر اجد أن تقليد الطبيب ليس سهلاً، بل صعباً جداً. ومهما يكن الأمر، سأفعل ما استحق عليه الثناء.
فالير : لن تلاقي صعوبة في لقاء هذا الشخص، لأن كورجيبوس رجل بسيط، ساذج الطبع، سريع الارتباك وسيطيش صوابه عندما تتحدث اليه بجدّية، على أن تتكلم امامه عن هيبوقراط وعن جالينوس، وان تتذرّع بقليل من الجسارة.
إسْكاناريل : أفهم منك أنّ عليّ أن أكلّمه بقليل من الفلسفة والرياضيات. دعني أتصرّف. فإذا كان رجلاً سهل الاقتناع كما تقول، أؤكد لك نجاح العملية. عليك فقط أن تؤمن لي جبّة طبيب، وترشدني إلى ما يتحتّم عليّ أن أفعل، وتمنحني شهادتي التي تتكوّن من الفرنكات العشرة التي وعدتني بها.

(يخرج فالير واسكاناريل).

المشهد الثالث

كورجيبوس ورينيه الضخم.

كورجيبوس : اذهب بسرعة لاستدعاء الطبيب. لأن ابنتي شديدة المرض. هيّا عجّلْ.
رينيه الضخم : تبّاً للشيطان اللعين. لماذا تريد أن تزفّ ابنتك لرجل متقدم في السنّ ؟ أولا تعتقد أنها تفضّل شاباً يلبّي رغباتها ؟ هل ترى من علاقة بين ...
كورجيبوس : اذهب حالاً، لئلّا يؤخر المرض هذا الزواج الذي أميل اليه.
رينيه الضخم : هذا ما يغيظني. كنت أترقّب ان أحشو بطني بطعام دَسِم شهيّ، وها أنا أظل جائعاً محروماً من أطاييب الدنيا. سأذهب الى طبيب

ليعالجني، وكذلك يعالج ابنتك. اني أشعر بهموم العالم تنهال على رأسي.
(يخرج)

المشهد الرابع

سابين وكورجيبوس واسكاناريل.

سابين : أتيت لأراك، يا عماه، ولأنقل اليك نبأ سارّاً. أتيتك بأبرع طبيب في الكون، برجل قادم حديثاً من بلاد أجنبيّة، يعرف أروع الأسرار، وبدون شك سيشفي ابنتك. لقد دلّني عليه أحد الأصدقاء واوصاني به خيراً. وها أنا قد اصطحبته اليك. انه عالم ماهر ال يحدّ اني اشتهي أن أمرض ليداويني ويشفيني.

كورجيبوس : اين هو ؟

سابين : لقد لحق بي، وها هو قد حضر.

كورجيبوس : انا في خدمتك، يا سيدي الطبيب. لقد طلبتك لتأتي وتشفي ابنتي المريضة. وأملي كبير ببراعتك.

إسْكاناريل : قال هيبوقراط وكذلك جالينوس، لا بد من إقناع الشخص العليل بأنه مريض. الحق الى جانبك، اذ ان الجميع يشهدون بمهارتي، واني أكبر طبيب وأبرع معالج في حقل الطب النباتي والحسّي والمعدني.

كورجيبوس : هذا يسعدني جداً.

إسْكاناريل : لا تظنّ اني طبيب عادي بسيط. إعلم أن سائر الأطباء ليسوا في نظري سوى أُجَراء في الطب، بينما أنا لي مواقف خاصة مشرّفة، ولديّ اسرار عجيبة في مجال الشفاء. بُنْجُورْنو سنيور رودريك. هل أنت شجاع ؟ سينيور سي سنيورينو، بير أُومْنيا سيكولا سيكولاروم. لكن دعني أفكّر قليلاً.

سابين : إنتبهْ، يا دكتور. ليس هو المريض بل إبنته هي المريضة.

إسْكاناريل : هذا لا يهمّ. إن دم الأب ودم ابنته هما من فصيلة واحدة،

وبفحصي دم الوالد استطيع أن أعرف مرض الإبنة. فهل هناك من سبيل، يا سيدي كورجيبوس، كي ارى بول صاحبة العلّة.

كورجيبوس : نعم، لا مانع ابداً. هيا اذهبي، واجلبي لي قليلاً من بول ابنتي.

(تخرج سابين) سيدي الطبيب، أخشى عليها من الموت عاجلاً.

إسْكاناريل : يجب عليها أن تحافظ على حياتها، وان لا تتلهّى بترك ذاتها تموت بسبب تناولها وصفة الطبيب. (تعود سابين) هذا قليل من البول الذي يدلّ على حرارة مرتفعة، وعلى إلتهاب خطير في الأمعاء. مع ذلك صحتها لا تبعث على القلق.

كورجيبوس : ماذا أرى ؟ هل شربته ؟

إسْكاناريل : لا تندهش لذلك. فالأطباء عادة يكتفون بالمحافظة عليه. لكنني بصفتي طبيب غير عادي أشربه، لأني من مذاقه أهتدي الى سبب المرض وتوابعه. لكن كميته في الحقيقة، كانت قليلة جداً، فلم استطع ان اكوّن تشخيصي الكامل. دعوها تبوّل مرة اخرى.

سابين (**تخرج وتعود**) : لقد عذبتْني حتى بوّلتُ هذا المقدار.

إسْكاناريل : هذا لا بأس به، وهي كميّة تكفي لتبيين النتيجة. إجعلوها تبوّل من الآن وصاعداً بوفرة، أكرّر القول بوفرة. ولو كان جميع المرضى يبوّلون هكذا لَوَدَدْتُ أن أظل طبيباً طوال حياتي.

سابين (**تخرج وتعود**) : هذا كل ما أمكن الحصول عليه، لأنها لا تستطيع أن تبوّل أكثر مما فعلتْ.

إسْكاناريل : ماذا تقول ؟ يا سيدي كورجيبوس، ألَا تبوّل ابنتك إلّا نقاطاً معدودة ؟ اذا إبنتك معها فقر بول. لذلك سأعطيها دواءً يساعدها على التبويل بكثرة. ألَا يمكنني أن أشاهد المريضة ؟

سابين : لقد نهضتْ. واذا شئت، سأجلبها الى هنا.

المشهد الخامس

لوسيل وسابين وكورجيبوس واسكاناريل.

إسْكاناريل : ايتها الآنسة، هل أنت مريضة ؟

لوسيل : اجل، يا سيدي.

إسْكاناريل : من سوء حظك. وهذه إشارة الى أن صحتك ليست على ما يُرام. هل تشعرين بآلام شديدة في رأسكِ وفي كليتيكِ ؟

لوسيل : نعم، يا سيدي.

إسْكاناريل : حسن جداً. ذكر الطبيب الشهير أُوفير في الفصل الذي كتبه عن طبيعة الحيوانات ... مئة مسألة جميلة. وبما أن كثيراً من المزاجات ترتبط بعدّة عوامل أساسية، نظير الكآبة التي تطرد الفرح والمرارة التي تنتشر افرازاتها في الجسم وتجعل بشرتنا صفراء اللون، لا شيء ينهك الجسم كالمرض. ويسعني أن اردّد مع العالم الكبير المذكور، أن ابنتك مريضة جداً، وتحتاج الى وصفة طبية فعّالة لمعالجتها.

كورجيبوس : أحضروا حالاً طاولة وورقاً وحبراً.

إسْكاناريل : هل يوجد بينكم من يعرف الكتابة ؟

كورجيبوس : ألا تعرف أنت أن تكتب، يا حضرة الطبيب ؟

إسْكاناريل : أنا لا أتذكّر، لأن اموراً لا تُحصى تشغل بالي الى حدّ اني انسى نصفها ... اعتقد أن ابنتك بحاجة الى تنشقّ قليل من الهواء الطلق النقي، وان تروّح عن نفسها في أجواء الريف.

كورجيبوس : في آخر حديقتنا بيت جميل، غرفه الواسعة تدخلها الشمس طوال النهار، ويجري فيها الهواء النظيف من كل الجوانب، وأظن ذلك يكفي، اذا أمرت.

إسْكاناريل : هيّا بنا لنزور هذه الأماكن ونتفقّدها.

(يخرجون)

المشهد السادس

المحامي

المحامي : لقد بلغني أن ابنة السيد كورجيبوس مريضة. وعليّ ان أسأل عن صحتها، وان أقدّم خدماتي كصديق كل افراد العائلة. هل السيد كورجيبوس موجود في البيت ؟

المشهد السابع

كورجيبوس والمحامي

كورجيبوس : انا يا سيدي، خادمك الأمين.
المحامي : بما أني علمت بمرض الآنسة ابنتك، جئت لأعبّر لك عن مودتي، وأضع إمكاناتي تحت تصرّفك. فيمكنك الإتّكال عليّ في كل ما يلزمك من خدمة كبيرة أو صغيرة.
كورجيبوس : كنت داخل البيت بصحبة أمهر عالم في الدنيا.
المحامي : أوَلا يمكنني أن أتحدّث اليه برهة.

المشهد الثامن

كورجيبوس والمحامي واسكاناريل

كورجيبوس : يا سيدي، هذا الرجل النبيه هو من أعزّ أصدقائي، ويتمنّى أن يتحدّث اليك.
إسْكاناريل : ليس لديّ الوقت الكافي، يا سيدي كورجيبوس. اذ لا بدّ لي من الذهاب لمعاينة مرضاي. ولا يسعني أن أخصّص له الآن بعض وقتي.
المحامي : يا سيدي، على أثر ما أخبرني به عنك السيد كورجيبوس، وعن

خبرتك ومهارتك وعلمك، يسرّني أن أتعرف اليك واتشرّف بمقابلتك وأستميح الحرية لأن أحيّي مقامك السامي، وأعتقد أنك لن تعتبر هذا منّي تطفّلاً. أنا واثق بأن جميع المميّزين بما بلغوه من مستوى علمي رفيع في مهنة الطبّ مثلاً؛ بالنظر إلى فائدتهم الخاصّة في المجتمع، يستحقّون الثناء على ما بذلوه من جهود جبّارة في ميدان العلم والمعرفة، لا سيما في المواقف الحرجة والمهمّات الصعبة. لذا قال عنهم هيبوقراط في بيانه الشهير: فيتا برافيس أرْس فيرو لونْكا أجاسيو أُوتيم براسيبْس إكْسْباريمنْتوم بيريكولوسيـوم هوديسيـوم ديفيسيلا.

إسْكاناريل (**لكورجيبوس**) : فيسيلا تنْتينا بوتا باريل كومْبوسْتيوس.

المحامي : ارى انك لست من الأطباء الذين يهملون اللجوء الى العلاج المسمّى « العملي والنظري » بل يمارسونه كل يوم بنجاح منقطع النظير. اكْسبْرِيانْتيا ماجيسترا راتوم. ان اوائل من أجْروا الاختبارات الطبية قد نالوا الإعجاب في ميدان هذا العلم الجليل المفيد الى حدّ أنْ إعتبرهم الجميع كالآلهة نظراً الى ما احرزوه من تفوّق في المعالجات التي لا تزال معتمدة كل يوم حتى زمننا الحاضر. هناك من يقلّل من تقدير الطبيب عندما لا يُوفَّق الى ردّ صحة مريضه، لأن ذلك لا يتوقّف فقط على ما يصفه له من عقاقير، ولا على مقدرته العلمية الواسعة المدى. انْتْردوم دوكْتا بلوس فاليت أرْتي مالوم. وأخشى، يا سيدي، أن أتطفّل عليك أو أضيّع وقتك الغالي. لذا أستأذنك للانصراف على أمل ان التقي بك مجدّداً في أول فرصة سانحة، وأتشرف بالتحدث اليك مطوّلاً. فأنا لا أشك بأن وقتك ضيق وثمين جداً.

كورجيبوس : كيف وجدت هذا الرجل ؟

إسْكاناريل : لديه بعض المعلومات. وكان بإمكانه ان يبقى معنا مدة اطول، لأني كنت على وشك أن أفاتحه في أمر هامّ سامي الأهداف. مع ذلك، أنا ايضاً أستأذنك بالإنصراف. (كورجيبوس يعطيه دراهم) ماذا تفعل ؟

كورجيبوس : اني اعرف جيداً كم انا مدين لك بالكثير.

إسْكاناريل : هل تهزأ بي، يا سيدي كورجيبوس ؟ لن اقبض منك فلساً

واحداً، لأني لست رجلاً مأجوراً. (يأخذ الدراهم) أنا دائماً في خدمتك.
(يذهب اسكاناريل ويدخل كورجيبوس الى بيته)

المشهد التاسع

فالير

فالير : لست أدري ماذا فعل اسكاناريل. لأني لم أتلقَّ منه أي خبر. وأنا أتساءل اين يمكنني أن ألاقيه ؟ (يعود اسكاناريل بثياب خادم) ها هو. اين كنت، يا اسكاناريل ؟ ماذا فعلت منذ أن غبت عن نظري ؟

المشهد العاشر

اسكاناريل وفالير.

إسْكاناريل : معجزة تِلْوَ معجزة تمّت على يدي مؤخّراً. لقد تصرّفت بمهارة ما بعدها مهارة الى حدّ أن اعتقد كورجيبوس أني من أبرع أطباء هذا العصر. لقد استقبلني أحسن استقبال. ونصحته بأن يدع ابنته تذهب الى الريف لتتنشّق الهواء الطلق النقي، وهي الآن في منزل يقع في آخر الحديقة بعيداً عن ابيها العجوز. وفي الوقت الحاضر تستطيع أنت أن تمضي و تقابلها متى شئت.

فالير : كم يسعدني هذا النبأ المطمئِن. وبدون أن أضيع الوقت، أنا ذاهب لأجتمع بها.

(يخرج).

إسْكاناريل : لا بدّ لي من الاعتراف بأن كورجيبوس حقاً رجل بطيء الفهم، لكي ينخدع هكذا بسهولة بما أوهمته به. (يبصر كورجيبوس). لكني أرى أن

كل مسعاي ضاع سدىً وأن مشاكل الطب ستنهال على رأسي. غير أني سأجد مخرجاً من هذا المأزق، وسأخدعه ثانية.

المشهد الحادي عشر

اسكاناريل وكورجيبوس

كورجيبوس : نهارك سعيد، يا سيدي. انا، يا سيدي، خادمك الأمين. لديّ شاب مسكين مريض مغلوب على أمره، فهل تعرف طبيباً وصل مساء أمس الى هذه المنطقة، سمعت أنه بارع الى حدّ يمكّنه من أن يشفي بصورة عجيبة.
إسْكاناريل : أنا شقيقه، يا سيدي، ونحن توأمان، كما ترى، نتشابه جداً، كثيراً ما يظن الناس أحدنا أنه الشقيق الآخر.
كورجيبوس : أكون غبيّاً ان قلت لك أني لم ألاحظ هذا الشبه الغريب. ما اسم حضرتك ؟
إسْكاناريل : أُدْعى نرسيس، يا سيدي، وأنا دائماً في خدمتك. اظنك تعرف اني ألازم عيادته باستمرار. فقد دلقت حنجورَيْن من العطر كانا على طرف المائدة. وحالاً إستشاط غضباً بسبب ما فعلته عَرضَاً وطردني من البيت ولم يعد يريد أن يراني. وانا الآن منكوب مسكين لا معين لي ولا سند ولا صديق.
كورجيبوس : هيّا لا تحزنْ. سأساعدك على الخلاص من مأزقك، واعدك بأن أصلح الحال بينك وبينه. سأكلمه في هذا الموضوع حالما اقابله قريباً.
إسْكاناريل : انا أسير معروفك، يا سيدي كورجيبوس ولن أنسى فضلك عليّ ما حييت.

(يخرج اسكاناريل ويعود حالاً مرتدياً جبة الطبيب).

المشهد الثاني عشرة

اسكاناريل وكورجيبوس

إسْكاناريل : لا بدّ من الاقرار بأن المرضى لا يحبّذون اتّباع نصيحة الطبيب، بل يستسلمون الى شهواتهم التي ...

كورجيبوس : يا حضرة الطبيب، أنا خادمك الأمين، ألْتمس منك معروفاً.

إسْكاناريل : ماذا تريد، يا سيدي ؟ هل من خدمة أؤدّيها لك ؟

كورجيبوس : يا سيدي، صادفت منذ لحظة السيد شقيقك الذي ابدى لي استياءه من ...

إسْكاناريل : هو دجّال محتال، يا سيدي كورجيبوس.

كورجيبوس : ما لك تتكلّم عنه هكذا ؟ هل تريد أن تدفعه الى اليأس ؟

إسْكاناريل : لا تكلّمني عن هذا الغبي أبداً بعد الآن. لأن حماقته لا تطاق. ولا تحاول أن تتدخّل في أي صلح بيننا. أرجوك أن لا تأتي على ذكره أمامي من الآن فصاعداً.

كورجيبوس : يا إلهي. ارجوك، يا حضرة الطبيب، ان تصنع ذلك اكراماً لي. وأنا مستعدّ لأن أردّ لك جميلك اضعافاً بأقرب فرصة ممكنة بكل طيبة خاطر، لأني تعهّدت بالقيام بهذه المهمّة و ...

إسْكاناريل : انت ترجوني بمثل هذا الإلحاح، مع أني أقسمت بأن لا أسامحه مطلقاً. لكني إكراماً لشخصك العزيز عليّ، وحسب إلْتماسك مني، أنا اسامحه هذه المرّة. أؤكد لك اني افعل ذلك بصعوبة لأني لا أستطيع أن أخالف طلبك. الوداع، يا سيدي كورجيبوس.

كورجيبوس : لن أنسى لك هذا المعروف. ها أنا ذاهب لأبلغ اخاك المسكين هذا النبأ السارّ الذي سيفرحه كثيراً.

(يدخل كورجيبوس الى البيت ويذهب اسكاناريل).

المشهد الثالث عشر

فالير واسكاناريل

فالير : ما كنت لأصدّق ان اسكاناريل قادر على القيام بهذه المهمة الصعبة. (يدخل اسكاناريل وهو بثياب الحداد) يا لك من شاب مخلص. كم أنا مدين لك لقاء هذه الخدمة الجليلة، وكم أنا مسرور بأني ...

إسْكاناريل : بذمّتي، انت تتكلم كرجلٍ حكيم. فقد صادفني كورجيبوس، وبدون أي جهد لقيت أن العقدة قد حُلَّتْ. (يلمح كورجيبوس) هيّا أهرب من هنا.

(يخرج فالير)

المشهد الرابع عشر

كورجيبوس واسكاناريل

كورجيبوس : كنت أبحث عنك في كل مكان لأخبرك بأني التقيت شقيقك، وقد أكّد لي أنه سامحك. لكن لكي أكون اكثر اطمئناناً، أودّ أن يعانقك اثناء حضوري. فادخلْ الى منزلي، وانا ذاهب لآتي به الى هنا.

إسْكاناريل : يا سيدي كورجيبوس، لا أظنّ انك ستجده في الوقت الحاضر. ثم أني لا أنوي أن أبقى عندك، لأني أخشى كثيراً أن يغيظه وجودي.

كورجيبوس : ستظل هنا، لأني أريد أن أستبقيك عندي. أنا ذاهب لآتي بأخيك. لا تخفْ. أؤكد لك انه لم يعد مستاءً منك.

(يخرج كورجيبوس).

إسْكاناريل (من النافذة) : بذمّتي، ها قد وقعت في الفخّ، ولم يعد بإمكاني الخلاص من هذه الورطة. فالغيوم متلبّدة، وأنا أخشى كثيراً من أن يأتي وينفجر غضبه وينهال ضرباً بالعصا على ظهري، وان يضطرني الى تناول وصفة أمرّ من كل وصفات الأطباء، هي الكيّ في كتفي. ها قد ساءت أموري. ولكن، لماذا

أيأس من الفرج ؟ فبما أني كثيراً ما لجأت الى الحيلة، عليّ الآن أن أذهب الى أبعد ما يمكنني الوصول اليه أي حتى النهاية. أجل، أجل، لا بد من أن أتخلّص من هذه المشكلة، وأريه ان اسكاناريل هو سيد المحتالين.

(يقفز اسكاناريل من النافذة ويذهب).

المشهد الخامس عشر

رينيه الضخم وكورجيبوس واسكاناريل

كورجيبوس : بذمّتي، هذا امر غريب، كيف يتسنى له أن يقفز من النافذة ؟ (يلمح اسكاناريل عائداً وهو يرتدي جبّة الطبيب): لكن، ها هوذا. لا يكفي، يا سيدي، ان تسامح أخاك، أرجوك، إكراماً لي، أن تعانقه. هو الآن عندي، وقد بحثت عنك في كل مكان لأرجوك أن تصالحه أمامي، كما وعدتني.

إسْكاناريل : أراك تهزأ بي، يا سيدي كورجيبوس. ألا يكفي أني سامحته ؟ لكني لا اريد أن أراه.

كورجيبوس : أرجوك، يا سيدي الفاضل، أن تعانقه اكراماً لي.

إسْكاناريل : لا يسعني أن أرفض لك طلباً. قل له أن يأتي.

(بينما يدخل كورجيبوس الى بيته من الباب، يدخل اليه اسكاناريل من النافذة).

كورجيبوس (**من النافذة**) : ها هو أخوك ينتظرك هنا. وقد أكدّ لي بأن ينفّذ ما وعدني به.

إسْكاناريل (**من النافذة**) : يا سيدي كورجيبوس، أرجوك أن تأتي إلى هنا. أقسم لك اني بصورة خاصة طلبت منه أن يسامحك، كي لا ترتكب الف حماقة ويُلحق بك ألف إهانة أمام جميع الناس لأنه لا يستحي.

(يخرج كورجيبوس من بيته عبر الباب ويخرج اسكاناريل من النافذة).

كورجيبوس : نعم، أنا ذاهب لأبلغه ذلك. يقول سيدي أنه من قبل الحياء يدعوك الى الدخول، كي يطلب منك السماح. ها هو المفتاح، فما عليك إلّا

أن تستعمله لتدخل. أَلْتمس منك أن لا ترفض رجائي، وان تسايرني في هذا الأمر.

رينيه الضخم : لا استطيع ابداً أن أرفض ما يسرّك. وسترى الآن كيف سأعامله. (من النافذة) أهذا أنت، يا محتال ؟ يا حضرة أخي،ز التمس منك العفو، وأعدك بأن لا أعود الى الاساءة اليك في المستقبل. ـــ أَلَيْس الذنب ذنبك، يا أغبى الأغبياء وأبرع المحتالين معاً ؟ سأعلمك كيف تتصرّف حيال الناس من الآن وصاعداً. ما أجسرك في مضايقة السيد كورجيبوس بمشاكلك التي لا تحصى. ـــ يا حضرة أخي ... ـــ قلت لك أُصمُتْ. ـــ لن أضايقك بعد ... ـــ إخرس، يا وقح.

رينيه الضخم : من تظن الآن أنك تحوي في بيتك ؟

كورجيبوس : الطبيب وشقيقه فرنسيس. لقد كانا على خلاف، وقد جعلتهما يتصالحان منذ لحظة.

رينيه الضخم : ليحمله إبليس الى الجحيم. إنهما كلاهما شخص واحد.

إسْكاناريل (**من النافذة**) : تبّاً لك من سكّير. سأعلّمك كيف تتصرف حيال الناس. وبما أنه ينكّس رأسه ويُطرق بنظره الى الأرض، فهذا خير دليل على إدراكه جيداً أنه كاد يستحق الشنق. تبّاً له من منافق خدّاع عندما يتظاهر بأنه عنصر صالح.

رينيه الضخم : ارجوك، يا سيدي، أن تطلب منه، إكراماً لي، أن يستدعي اخاه الى النافذة.

كورجيبوس : نعم، نعم، يا حضرة الطبيب. ارجوك أن تدعو شقيقك ليطلّ من النافذة.

إسْكاناريل (**من النافذة**) : هو لا يستحق أن يظهر بين الناس الشرفاء. ثم أنه لا يجرؤ على المثول أمامي.

كورجيبوس : ارجوك أن تصنع هذا المعروف بعد كل ما غمرتني به من أفضال.

إسْكاناريل (**من النافذة**) : في الحقيقة، يا سيدي كورجيبوس، انت لك عليّ دالّة خاصّة، ولا أقوى على رفض اي طلب تسألني اياه هكذا بإلحاح. تعال،

أيها المحتال. (بعد أن يغيب لحظة يظهر في ثياب الخدم). يا سيدي كورجيبوس، كم أنا مدين لك لقاء عطفك عليّ هكذا. (يغيب ثانية، ثم يظهر بجبّة الطبيب). هل ابصرت هذا النموذج السيئ الذي لا ينجم عنه سوى الاستهتار والأذى ؟

رينيه الضخم : والله، هما شخص واحد. ولكي اثبت لك ذلك، قل له أنك ترغب في مشاهدتهما معاً في آن واحد.

كورجيبوس : ارجوك أن تجود عليّ بهذه المنّة الأخيرة، وان تظهرا كلاكما معاً مطلَّيْن من النافذة.

إسْكاناريل (**من النافذة**) : هذه مسألة أرفضها لأي شخص سواك. لكن، لكي ابرهن لك أني لا أرفض لك طلباً نظراً الى المودة التي أحفظها لك، قررت رغم كل الصعاب أن أدعه يطلب السماح منك عن جميع الذنوب التي ارتكبها بحقّك. ــ أجل، يا سيدي كورجيبوس، اطلب منك العفو عن كل ما أزعجتك به، وأعدك، يا أخي بحضور السيد كورجيبوس الموجود ها هنا، بأن أتصرف بكل تعقّل من الآن وصاعداً وبشكل لا يتيح لك الفرصة حياله لكي تتذمّر مني، أو تغضب بسبب سلوكي، وأسألك ان تنسى كل ما مضى.

(يعانق قبعته التي وضعها على كوعه).

كورجيبوس : ها قد ابصرتهما كلاهما الآن معاً.

رينيه الضخم : في الحقيقة هو ساحر دجّال.

إسْكاناريل (**وهو خارج من البيت**) : هذا مفتاح بيتك، يا سيدي، اردّه اليك. لم أشأ أن يأتي معي هذا المحتال، لأني استحي به، ولا أريد أن يراني أحد برفقته في المدينة حيث ليس أطيب من سمعتي. ستذهب وتخرجه متى وجدت الوقت مناسباً. استودعك الله واظل صديقك المخلص. (يتظاهر بأنه ذاهب، وبعد ان يكون قد خلع جبّة الطبيب يعود إلى البيت من خلال النافذة).

كورجيبوس : عليّ أن أذهب لأخلّص هذا الفتى المسكين. في الحقيقة، اذا سامحه لا يكون قد تمّ ذلك بدون أن يسيء معاملته.

(يدخل الى بيته، ثم يخرج بصحبة اسكاناريل وهو في ثياب الخدم).

إسْكاناريل : أشكرك، يا سيدي، على ما تحمّلته من عذاب في سبيلي وعلى عطفك الذي غمرتني به. أنا مدين لك بذلك طوال حياتي.

رينيه الضخم (وقد لمّ قميص اسكاناريل عن الأرض) : لقد امسكت هذه المرة بالمحتال الذي كان يمثّل الطبيب ويخدكم. وبينما هو يقوم بهذه المهزلة، أعتقد أن فالير سعيد لأنه موجود بقرب حبيبته.

كورجيبوس : ما أتعسني، لكنك لن تنجو من حبل المشنقة، أيها المحتال الغشّاش.

إسْكاناريل : هل حقاً تريد، يا سيدي، أن أُشنَق ؟ أنصتْ اليّ، من فضلك. لديّ كلمة أخيرة أقولها لك. صحيح أن الفضل يعود اليّ في كون معلمي الآن ينعم بصحبة ابنتك. غير أني، وأنا اقدّم له هذه الخدمة، لم أُلحقْ بك أي أذى. ان ما فعلته هو حتماً لصالحها. فلا تُقِم الدنيا وتقعِدْها عليها، لأن ذلك سيزيد الأمور تعقيداً. المهمّ أن تتخلّص من هذا المحتال الوغد فيلْبْروكان ... ها هما العاشقان قادمان.

المشهد السادس عشر

فالير ولوسيل وكورجيبوس واسكاناريل

فالير : اننا نرتمي كلانا على قدميك.

كورجيبوس : وانا أسامحكما، وأجدني سعيداً لكون اسكاناريل قد خدعني. في الحقيقة، أنا مسرور بأن يكون صهري رجلاً شجاعاً. ماهر التصرّف. والآن تعالوا جميعاً نحتفل بعرسهما ونشرب نخب الحبيبَيْن وجميع الحاضرين.

(تمّت)